كيف تقهر الوسواس

حسن موسى الصفار


بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله رب العالمين اللهم صل

على محمد خاتم النبيين وتمام

عدة المرسلين وعلى آله الطيبين

الطاهرين، وأصحابه المنتجبين"

المحتويات

مقدمة الناشر

المجتمع في كل مرحلة من مسيرته يحتاج إلى ثقافة واعية هادية، تبصّره بواقعه، وتفتح أمامه آفاق الطموح والتطوير، وتعينه على مواجهة التحديات والصعاب.

ولكي تؤدي الثقافة دورها في بناء المجتمع، وتفعيل طاقاته، وشحذ هممه نحو التقدم، لابد وأن تتمتع بالمواصفات التالية:

ـ أن تكون أصيلة نابعة من قيم المجتمع الدينية الصحيحة.

ـ وان تكون معاصرة تواكب تغييرات الحياة، وتطورات الفكر.

ـ وان تنبثق عنها برامج عملية تستوعب حاجات المجتمع ومتطلباته.

ـ وان تمتلك لغة التخاطب مع الناس في شرائحهم

ومستوياتهم المختلفة واهتماماتهم المتعددة، دون الاغـراق في التنظير التجريدي والمصطلحات التخصصـية المتـداول في الخطاب النخبوي، لأن التخاطب مع الجمهور يحتاج إلى أكبر قدر من الوضوح، ومعالجة قضايا الواقع المعاش.

ونخبة المجتمع الواعية من علمـاء وخطبـاء ومفكـرين وأدباء، هـم الجهـة المسـؤولة المعنيـة بإنتـاج وتـوفير هـذه الثقافة المطلوبة.

من هذا المنطلق وعلى هذا الصـعيد يمـارس سماحـة الشيخ حسن الصفار حفظه الله عطاءه الثقافي الواعي عـبر الكتابة والخطابة والحضور الاجتماعي الكثّف.

هـذه السلسـلة مـن الكتيبـات هـي تحريـر لـبعض المحاضرات الـتي ألقاهـا في مناسـبات مختلفـة، قـام القسـم الثقافي في مكتب سماحته بكتابتها واعدادها للنشر، آملـين أن تسهم في نشر الوعي، وتدوير الافكار البناءة، والتنوير الثقافي للمجتمع.

راجين لسماحته من الباري عزوجل مزيد العطاء إنه ولي التوفيق.

الفصل الأول
الوقاية من الوسواس

بمقدار ما يُسرّ الإنسان من رؤية شاب متـدين ملتـزم بالشرع، مقبل على العبادة، بذات القدر وأكثـر يتـألم إذا شـاهد شـاباً في مقتبـل العمـر مبتلـى بـداء الوسوسـة في أعماله الدينية، ذلك أن مرحلة الشباب هي أفضل فترات الاسـتمتاع بالحيـاة، والتعـاطي معهـا بحيويـة وارتيـاح، ويفـترض في الـدين أن يجعـل الإنسـان أكثـر سـعادة واطمئناناً، فإذا أصيب الشاب بالوسوسة في أمـور دينـه، يتكدّر صفو حياتـه، ويفقـد اسـتقراره النفسـي، ويصـبح الدين عبئاً عليه بدل أن يكون دافعاً ومحفزاً له.

وقـد أظهـرت البحـوث العلميـة في بعـض مراكـز التحقيـق أن ٥٠ـ٦٠ ٪ مـن حـالات الوسـواس تظهـر في عمر ١٥ـ٢٠ سنة، وتزداد تـدريجياً، وتصـل إلى ذروتهـا في الأعوام ٢٠ـ٢٥ سنة. ثـم تبـدأ نسـبة احتمـال الإصـابة في الانخفاض حتى سنّ ٣٥ عاماً، وكلما تقدم العمر بالإنسان

كانت احتمالات الإصابة بالوسواس أقل [1]

ذلك أن مرحلة الشباب تصاحبها في الظروف الطبيعية حالة الاهتمام بالمعايير الأخلاقية، والقيم المعنوية، وقد تحصل بعض الشوائب والأخطاء في الأجواء الدينية التي يعيشها الشاب، مما يزرع في نفسه بذور القلق والهواجس، التي تدفعه للمبالغة في التأكّد من أداء الواجبات الدينية، والتشدد في الالتزام بالأحكام الشرعية بدقة وتزمت. وقد تكون تلك هي بداية الابتلاء والإصابة بمرض الوسواس.

وفي بعض الأحيان ينتقل الوسواس إلى الإنسان بالعدوى، لمعايشته شخصاً متزمتاً أو وسواسياً.

وهل تلعب الوراثة دوراً في الإصابة؟ يرى ذلك عدد من العلماء النفسيين، مثل « براين » الذي يرى أن العصاب القهري مظهر لجبلة سيكولوجية ترجع في الغالب إلى الوراثة، وأن صعوبة علاج العصابيين ربما تكون بسبب العوامل الجبلية لديهم. ويذكر « سادلر » أن سجلات عيادته لفترة أكثر من ٣٥ عاماً كشفت عن أن الوراثة تظهر كعامل رئيسي في ٩٠ ٪ من الحالات.

ولكن ذلك كله ليس بدليل قاطع على أن

---

(1) القائمي: الدكتور علي/ الوسواس والهواجس النفسية ص٦١ الطبعة الأولى ١٩٩٦م دار النبلاء – بيروت.

الأعراض القهرية يتم توارثها، فقد يرجع الأمر إلى تعلم الأبناء من آبائهم هذه المسالك القهرية، خلال طفولتهم المبكرة، مما يعرف في التحليل النفسي بالتوحد مع الآباء، فمسألة الوراثة لا يمكن حسمها إلا بدراسة للمورثات «الجينات» وهذا هو ما قام به «براون ومننجر» حيث أدت ملاحظاتهم الكلينيكية وتجاربهم إلى رفض النظريات التي تقول بأن العصاب القهري يتم توارثه عن طريق الجينات [1].

حكم الاستجابة للوسواس:

يفترض في الإنسان المتدين أن ينطلق في أعماله وتصرفاته من أحكام الشرع، كما يفترض أن يكون الدافع إلى ممارسة العملية الوسواسية في الأمور الدينية، هو حرص الوسواسي على أداء الواجب الديني بدقة وبشكل صحيح، فلو كان لا أبالياً لما اهتم بإتقان وضوئه وصلاته.

وهنا تكمن المفارقة العجيبة، ويتناقض الوسواسي مع نفسه في استجابته للوسواس، وانخراطه في العملية الوسواسية، فهو يريد التأكد من القيام بوظيفته الشرعية

(1) الطيّب: دكتور محمد عبد الظاهر/ الوسواس القهري تشخيصه وعلاجه ص٦١ـ٦٢ الطبعة الثالثة ١٩٩١م/ دار المعرفة الجامعية.

في مجال الطهارة والصلاة مثلاً، بتكرار العمل أكثر من مرة، ليطمئن من خلو ذمته، وإنجاز واجبه، لكنه يجهل أو يتجاهل أنه بهذه الممارسة قد أَخلّ بوظيفة أهم، وبواجب شرعي أكبر، وأنه تورط في مخالفة أمر الشرع والعقل.

فقد ناقش الفقهاء مسألة عمل الوسواسي على طبق وسوسته، بأن يعيد ويكرر في وضوئه وصلاته مثلاً، حيث يرى أغلبهم: أن هذه الممارسة الوسواسية حرام شرعاً، وأن المقدمات التي تؤدي إلى الوسواس كالمبالغة في الاحتياطات، محرمة أيضاً، ومستثناة من عنوان الاحتياط الراجح والمحبب.

يقول السيد الحكيم ﵀: «لا إشكال في رجحان الاحتياط عقلاً، لأنه انقياد إلى المولى سبحانه. نعم قد يزاحم الاحتياط من جهة الاحتياط من جهة أخرى، مساو له، فلا يكون الاحتياط راجحاً عقلاً، أو أهم، فيكون الأول مرجوحاً عقلاً. وقد ينطبق عليه عنوان مكروه أو يؤدي الاحتياط إليه، فيكون مكروهاً شرعاً. أو ينطبق عليه عنوان محرم، أو يؤدي إليه، فيكون حراماً شرعاً. ومنه أن يؤدي إلى الوسواس المؤدي إلى العمل على طبقه، فإن الظاهر أنه لا إشكال في حرمة العمل على طبق الوسواس، فيحرم الوسواس نفسه إذا كان يؤدي إلى العمل على طبقه، كما هو القاعدة في كل فعل يعلم بترتب الحرام عليه ولو بالاختيار. مثل ما إذا علم أنه إذا دخل مجلس الشراب يختار شرب المسكر، فإنه يحرم

الدخول إلى المجلس حينئذٍ. وكذلك في المقام إذا علم أنه إذا حصل له الوسواس عمل على طبقه، فيحرم عليه حصول الوسواس، فيحرم ما يؤدي إليه »[1].

ويقول السيد الشيرازي ﵀: « إن اتباع الوسوسة حرام، كما دل عليه النص والإجماع، ومقدمة الحرام حرام إذا كانت الحرمة مهمة في نظر الشرع، وكأنه لا شبهة في أهمية هذا الحرام، لأنه ضرر بالغ على النفس والجسد، كما يراه الإنسان بالنسبة إلى الوسواسي. هذا بالإضافة إلى أن الوسواس ضرر بالغ والخوف من مثل هذا الضرر يوجب رفع الحكم، بل ظاهرهم التسالم على حرمة ما يحتمل ترتب الضرر عليه احتمالاً عقلائياً... نعم لا شبهة في حرمة الاحتياط الذي هو وسواس لأنه من إطاعة الشيطان، بل قد يقال أن مقدمة الوسواس أيضاً وسواس، لأن العمل إما عادي، وإما وسوسة، ولا فاصل بينهما، وليس أحدهما مقدمة للآخر »[2].

لكن بعض الفقهاء لا يرى حرمة الممارسة الوسواسية ذاتاً، وإنما تحرم بعنوان ثانوي حينما تستوجب

---

(1) الحكيم: السيد محسن/ مستمسك العروة الوثقى ج١ ص٤٤٨-449، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(2) الشيرازي: السيد محمد/ الفقه ج٤ ص٣٩٥-٣٩٦، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ دار العلوم- بيروت.

ارتكاب محرم آخر، وهو ما يذهب إليه السيد الخوئي ﵀: «أما الجري على طبق الوسوسة فالظاهر عدم حرمته بعنوان الوسوسة، وإن التزم بعضهم بحرمته. نعم قد يتصف بالحرمة بعنوان آخر ككونه سبباً لنقض الصلاة ـ وهو محرم على المشهور ـ أو لاستلزامه تأخير الصلاة عن وقتها، أو لتفويت واجب آخر، كالإنفاق على من يجب عليه إنفاقه، أو لاستلزامه اختلال النظام أو الهلاكة أو نحوهما»[1].

إن ما يجب أن يعرفه الوسواسي، وأن ينبّه عليه، ويذكّر به، دائماً وأبداً، هو أن طريقته في أداء واجباته الدينية، غير مقبولة شرعاً، وتتضمن مخالفة لأمر الشرع، فهو عمل محرم على كل حال إما لحرمته الذاتية وبعنوانه الأولي، أو بعنوان ثانوي لما يؤدي إليه من ارتكاب محرمات أخرى وخاصة في المراحل الأولى من الإصابة بحالة الوسوسة، وقبل أن تتمكن منه، فإن لهذا العلاج المعرفي والتنبيه والتذكير، أثراً هاماً في تقوية المناعة والحصانة ضد المرض.

(1) الخوئي: السيد أبو القاسم/ التنقيح في شرح العروة الوثقى ج٢ ص١٧١ـ١٧٢، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ/ مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ـ إيران.

الوسواس ومقاصد الشريعة:

إسعاد حياة الإنسان مقصد أساس للـدين، فـإن الله تعالى خلق الناس لينعم عليهم في هـذه الحيـاة، وليفـيض عليهم رحمته :﴿ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِـذَلِكَ خَلَقَهُـمْ ﴾ [١] والشريعة جاءت لخير الناس وصلاحهم ورحمـتهم :﴿ هَـذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢].

والإنسان المتدين يفترض أن يعيش سـعيداً بتدينـه، وأن يعمر قلبه الرضا والاطمئنان ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَـئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٣].

لذلك يعد الله تعالى المؤمن الصالح بأن تكون حياتـه طيبة في هذه الـدنيا، ثـم ينقلـب في الآخـرة إلى نعـيم الله ورضوانه :﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُـؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَـنِ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٤].

فأين تقع حياة الإنسان الوسواسي من هـذا المقصـد الديني العظيم؟ وكيف يمكن قيـاس حالتـه بهـذه المعـايير الشرعية؟

---

(1) سورة هود الآية ١١٩.
(2) سورة الأعراف الآية ٢٠٣.
(3) سورة الرعد الآية.28
(4) سورة النحل الآية ٩٧.

إنه يحوّل الدين من منهج سعادة إلى مصدر قلق وعذاب، ويصبح ذكر الله عنده المتمثل في الصلاة وسيلة ومثيراً لحالة من الاضطراب والعناء، بدل أن يضفي على قلبه السكينة والاطمئنان.

وأساساً فإن الوسواس يحرم صاحبه من التمتع بلذة العبادة، والاستلهام من ينبوعها المتدفق بالمعنويات والقيم، فهو مشغول مهموم بضبطها، ومستغرق في الحذر والحيطة من وقوع خلل أو خطأ فيها.

كما يدفع الوسواس صاحبه لارتكاب بعض المحرمات، والتعود على ذلك، كتأخير الصلاة عن وقتها، وكقطع الصلاة ـ بناءً على القول بتحريمه حسب رأي جماعة من الفقهاء ـ وكالإسراف في الماء، وهدر الوقت، وتضييع حقوق الآخرين، وإيذائهم.

ومن أهم مقاصد الشريعة تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان، بأن يسيطر على غرائزه وميوله، ويتحكم في نزعاته وتوجهاته، بحيث تكون في الاتجاه الصحيح، الموافق لما يريده الله سبحانه. لكن الوسواسي يفرّط بالسيطرة على نزعاته وتصرفاته، ويجعل للشيطان على نفسه سبيلا، فيصبح أسيراً لوساوسه، مستجيباً لإملاءاته، مخالفاً لأمر ربه ولتوجيه عقله. لذلك يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن شخص وسواسي: « أي عقل له وهو

يطيع الشيطان »[1].

ويأمرنا الله تعالى أن نستعيذ به من شر الوسواس والوسوسة :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ .مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ .مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاس﴾ [2].

لماذا الوسوسة في العبادات فقط؟

ومما يلفت النظر أن الوسواس في المجال الديني ينحصر في أمور الطهارة والعبادات غالباً، ولا ترى أثراً للوسوسة في المجال المالي مثلاً، بحيث يشك المتدين في فراغ ذمته من الخمس والزكاة، فيؤديها أكثر من مرة، أو يحتاط في موارد الصرف، فيدفع الحق الشرعي مكرراً في موارد مختلفة، أو يضاعف المبلغ المطلوب منه.

بل قد تجد أن من يصرف الوقت والجهد لضبط وضوئه وصلاته، غير مهتم بدفع الحقوق الشرعية، أو يسعى لتقليص ما عليه إلى أقل قدر ممكن، أو يسوّف ويتساهل في الأداء، فلماذا لا تحدث وسوسة في الجانب المالي من الدين؟

---

(1) الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي ج١ ص١٢، ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء ـ بيروت.
(2) سورة الناس الآية ١ ـ ٦.

وكذلك الأمر في جانب حقوق الناس، فإنك لا تجد حالة وسوسة في هذا المجال غالباً، بحيث يبالغ في احترام حقوق الآخرين، المالية والمعنوية، ويحتاط في حفظها ورعايتها، بل على العكس من ذلك تجد الكثير من المتدينين، وحتى الدقيقين منهم في مسائل الطهارة والصلاة، أنهم قد يتساهلون في مثل موضوع الغيبة والنميمة، وسوء الظن، وما أشبه مما يرتبط بسمعة الآخرين وحفظ كرامتهم.

فأين الاحتياط و الوسوسة عن هذا المجال؟

أليس في ذلك دلالة على شيطانية الوسوسة؟

فالوسوسة في الطهارة والعبادات تضر ولا تنفع، ولذلك يخلقها الشيطان، ويسوّل بها للإنسان. أما الوسوسة في المجال المالي ولمراعاة حقوق الناس، فإن فيها جانباً من الفائدة والنفع، لذا لا يمكن أن يوحي بها الشيطان، أو يغري بها الإنسان.

أليس كذلك؟

التكلّف والتزمت أرضية الوسوسة:

منهجية الدين قائمة على اليسر والسماحة، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [1] .

---

(1) سورة البقرة الآية ١٨٥.

واليسر هو السهولة واللين. والعسر هو الضيق والشدة والصعوبة. ويقرر الله تعالى أنه وضع تشريعاته وأحكامه على أساس اليسر والسهولة للناس، وليس فيها ما يدعو إلى العسر والشدة والمشقة.

وتتجلى هذه المنهجية في كل تشريعات الإسلام حيث ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [1] وأي حكم شرعي يسبب للإنسان حرجاً ومشقة لا تحتمل عادة، فإنه مرفوع عنه ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [2].

وكان رسول الله ﷺ يربّي الأمة على استيعاب هذه المنهجية، ورفض منحى التكلف والتزمت، حيث أمره الله تعالى أن يبرز هذه الصفة في نفسه ﴿وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [3] . والتكلُّف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنّع ـعلى حد تعبير الراغب.-

وحينما كان ﷺ يرى بعض أصحابه يبالغ في العبادة، كان ينصحه بالاعتدال، فقد قال لعبد الله بن عمرو: « يا عبد الله ابن عمرو، ألم أُخبر أنك تكلّف قيام الليل وصيام النهار؟ » قال: إني لأفعل، فقال ﷺ: « إن حسبك، ولا أقول افعل، أن تصوم من كل شهر ثلاثة

(1) سورة البقرة الآية ٢٨٦.
(2) سورة الحج الآية ٧٨.
(3) سورة ص الآية ٨٦.

أيـام، الحسـنة عشـر أمثالهـا، فكأنـك قـد صـمت الـدهر كله» [1].

وعن أم المؤمنين عائشة: أن الـنبي ﷺ دخـل عليهـا وعندها امرأة قال: «من هذه؟» قالت: فلانـة، تـذكر مـن صلاتها، قالﷺ: «مه عليكم بما تطيقـون، فـوالله لا يمـلّ الله حتى تملُّوا» [2].

وحدث مرة أن قام أعرابي فبال في المسـجد، فتناولـه الناس، فقال لهم النبيﷺ: «دعوه، وهريقـوا علـى بولـه سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثـتم ميسـرين، ولم تبعثوا معسّرين» [3].

وعنهﷺ أنه قال: «يسّروا ولا تعسّروا، وسـكّنوا ولا تنفروا» [4].

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يصـلي في المسـجد ويسـجد ويركع، ويسجد ويركع، فقال ﷺ: إن خير ديـنكم أيسـره، إن

---

(1) ابن حنبل: أحمد/ مسند الإمام أحمد بن حنبـل ـ حـديث رقـم ٦٨٧٨، ج٢، ص٦٧٤، الطبعـة الأولى ١٤١٩هــ/ عـالم الكتـب للطباعة والنشر ـ بيروت.

(2) البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري – حديث رقـم ٤٣، ج١، ص١٨، ١٤٢٠هـ/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(3) المصدر السابق ـ حديث رقم ٢٢٠، ج١، ص٦٢.

(4) المصدر السابق ـ حديث رقم ٦١٢٥، ج٤، ص١١٥.

خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره» [1].

وعنهﷺ: «إياكم والتعمق في الدين فإن الله قد جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون» [2].

وعلى هدي رسول اللهﷺ سار الأئمة من أهل بيته عليهم السلام يقول الإمام جعفر الصادقعليه السلام: «اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع، فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً رضي منه باليسير» [3].

وكانوا يربّون أصحابهم وأتباعهم على منهجية اليسر، وعدم التزمت في الدين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الإمام جعفر الصادقعليه السلام عن الرجل يأتي السوق فيشتري جبّة فرا، لا يدري أذكّية هي أم غير ذكيّة «أي من جلد حيوان مذكّى أم لا» أيصلي فيها؟ فقال: نعم ليس عليكم المسألة، إن أبا جعفرعليه السلام كان يقول: إن الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهالتهم، إن

(1) ابن حنبل :أحمد/ مسند الإمام أحمد بن حنبل- حديث رقم ٢٠٦١٧، ج٦، ص٨٠٧، الطبعة الأولى١٤١٩هـ/ عالم الكتب للطباعة والنشر- بيروت.
(2) الهندي: علي المتقي/ كنز العمال- حديث رقم ٥٣٤٨، ج٣، ص٣٥، الطبعة الخامسة١٤٠٥هـ/ مؤسسة الرسالة.
(3) الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي ج٢ ص٨٧، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء- بيروت.

الدين أوسع من ذلك [1].

وعن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول :كان أبي يبعث بالدراهم إلى السوق فيشتري بها جبناً فيسمي ويأكل ولا يسأل عنه [2].

هكذا الإسلام في أحكامه، وفي سيرة قادته، يسر وسماحة، لا تكلّف فيه ولا تعقيد، لكن أجواء بعض المتدينين تغذّي حالة التشدد والتزمت، وخاصة عند الشباب اليافعين المقبلين على الدين، مما يوفّر عند بعضهم الاستعداد والأرضية لنمو بذور الوسوسة والتكلف في المسائل الشرعية.

الإرادة تقهر الوسواس:

تتمكن حالة الوسواس من الإنسان بشكل تدريجي، فإذا حصل الانتباه والوعي لها في وقت مبكر، كان العلاج والتغلب عليها أمراً سهلاً ميسوراً، لكن السكوت والإغضاء على الحالة لفترة طويلة، يزيد من صعوبة معالجتها.

---

(1) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة ـ حديث رقم ٤٢٦٢، ج٣، ص٤٩١، الطبعة الأولى١٤١٣هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

(2) المصدر السابق ـ حديث رقم ٤٢٦٧، ج٣، ص٤٩٢.

وعلى كل حال فمهما كانت درجة الصعوبة إلا أن الخلاص والعلاج ليس مستحيلاً، فقد منح الله تعالى الإنسان إرادة قوية قاهرة، إذا قرر استخدامها فسيقهر بها كل عادة أو سلوك، مهما كانت درجة تجذره في نفسه وحياته.

لكن المشكلة تكمن في ضعف الإرادة، حيث يرفض المصاب التجاوب مع العلاج، أو يتراجع عن الاستمرار فيه، ويخضع لضغوط الوسوسة، وقد أظهرت البحوث أن نسبة ٣٠ـ٤٠٪ من مرضى الوسواس يقبلون على العلاج، وأن ٤٠ـ٥٠٪ منهم يحققون درجة متقدمة من الشفاء، لتجاوبهم مع العلاج وتوفر الرعاية اللازمة لهم [1].

---

(1) القائمي: الدكتور علي/ الوسواس والهواجس النفسية ص١٠٥، الطبعة الثالثة ١٩٩١م/ دار المعرفة الجامعية.

الفصل الثاني
قهر الوسواس



يطلق علماء النفس على مرض الوسواس مصطلح: «العصاب القهري» أو «الاضطراب الوسواسي الجبري» وقد وضع فرويد أول وصف متكامل للعصاب القهري في كتابه «مقدمة عامة للتحليل النفسي» عام ١٩١٧م، بقوله: «ينشغل عقل المريض بأفكار غير سارة، ويشعر باندفاعات تبدو غريبة بالنسبة إليه، وأنه مدفوع ليؤدي أعمالاً لا تسره، وليس لديه القدرة على الامتناع عنها، وقد لا يكون للأفكار والوساوس معنى في ذاتها، لكنها مع ذلك، أفكار مثابرة ومسيطرة على عقل المريض دائماً» (١)

وقدم العالم النفسي «وولمان» سنة ١٩٧٣م وصفاً لهذا المرض قال فيه: «يتميز هذا المرض باقتحام مثابر لتفكير غير مرغوب، أو اندفاعات، أو أفعال، لا يستطيع المريض

(1) الطيّب: الدكتور محمد عبد الظاهر/ الوسواس القهري تشخيصه وعلاجه ص٢١ الطبعة الثالثة ١٩٩١م/ دار المعرفة الجامعية ـ مصر.

إيقافها .والتفكير قد ينصب على كلمة مفردة أو فكرة، أو سلسلة من الأفكار يدرك المريض أنها عمل أحمق. وتتراوح الأفكار بين حركات بسيطة، وطقوس معقدة، مثل: تكرار غسل اليدين، وغالباً ما يظهر القلق والضيق إذا ما امتنع المريض عن إكمال طقوسه القهرية، أو إذا اهتم بكونه غير قادر على التحكم فيها»[1].

ويتمظهر هذا المرض بأشكال وألوان مختلفة عند المصابين به، فبعضهم يعاني من إلحاح هواجس وأفكار غريبة على ذهنه، كشعوره بأنه قد يرتكب جرماً معيناً، أو يصاب بحادث معين، والبعض يصاب بحالة من الوسواس في أمور النظافة والوقاية الصحية، كتكرار غسل الجسم أو اليدين أو الأواني التي يستخدمها، لتجنب القذارة والجراثيم، وهناك من يبتلى بالتشكيك وإساءة الظن في تصرفات المحيطين به، فيفسر أي كلمة أو حركة من الآخرين بشكل سلبي خاطئ، وكأنها ضده أو تستهدفه.

وتقدر نسبة المصابين بمرض الاضطراب الوسواسي الجبري في المجتمعات البشرية بحدود ٢٪، قياساً على إحصائيات المجتمع الأمريكي، وهذه النسبة معناها على المستوى الرقمي في الولايات المتحدة الأمريكية (٤٩٠)

(1) المصدر السابق ص٢٧.

ألف مريض يعانون العصاب الوسواسي تقريباً [1].

طبيعة الوسواس:

هناك أفكار يقتنع بها الإنسان ويقبلها بوعيه وعقله، وهناك رغبات تنطلق من شهوات الإنسان وعواطفه، أما الوسواس فهو خواطر شاذة يدرك المصاب بها أنها خاطئة لا تستند إلى أساس، كما يشعر بثقل وطأتها عليه، فهو لا يرغبها ولا يحبها، ويبدي التذمر والتضجر من معاناته منها.

فالوسواسي يدرك أن لا معنى لأفعاله، وأن سلوكياته لا عقلانية ولا منطقية، إلا أنه يشعر بالعجز عن منع نفسه من الانخراط في هذه السلوكيات نظراً لنزوعاته غير الخاضعة لسيطرته.

ويرى بعض علماء النفس: أن عدداً قليلاً جداً من المرضى الذين لا ينظرون إلى سلوكياتهم كأمور لا معنى لها أو غير منطقية، بل يعتقدون أن لديهم السبب الكافي لما يبدونه من اهتمام في سلوكياتهم، كما وأن طقوسهم الجبرية ستمنع من تعريضهم لنتائج كارثية حسب

---

(1) حجار: الدكتور محمد/ العلاج النفسي الحديث للاضطراب الوسواسي الجبري ص١١ الطبعة الأولى ١٩٩٢م/ دار طلاس- دمشق.

معتقدهم [1].

ويؤكد حديث ورد عن الإمام جعفر الصادق، ما يذكره علماء النفس من إدراك الوسواسي غالباً لعبثية وسوسته، يقول عبد الله بن سنان: ذكرت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة ـ أي بالوسواس في نيتهما أو أفعالهما أو شرائطهما ـ وقلت: هو رجل عاقل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: « وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟ » فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال عليه السلام: « سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك من عمل الشيطان » [2].

فالوسواس لا يعتمد على أساس فكري منطقي، ولا ينبثق من رغبة نفسية، وإنما هو حالة مرضية تبدأ بخاطر يقتحم شاشة نفس الإنسان، فإذا ضعفت إرادة الإنسان عن طرده منذ البداية، وعدم الاستجابة له والتفاعل معه، فإنه ينمو ويترعرع، ويتمكن تدريجياً من السيطرة على مشاعر الإنسان وتوجيه سلوكياته.

ونتيجة لإدراك الوسواسي لشذوذ وضعه وحالته، فإنه لا يحبّذ إطلاع الآخرين عليه، وقد يتخفى في ممارساته

---

(1) المصدر السابق ص٥٩.
(2) الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي ج١ ص١٢، الطبعة ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء ـ بيروت.

وطقوسه الوسواسية، ولا يعترف بها بسهولة، حتى للقريبين منه.

الوسواس في المجال الديني:

تظهر جرثومة الوسواس وتتكاثر غالباً في مناطق اهتمامات الإنسان، والأمور التي يحرص عليها، ولأن الإنسان المتدين يهمه الالتزام بالأحكام والقضايا الشرعية، ويحرص على أداء وظائفه وواجباته الدينية، فإنه قد يصاب بهذا الفيروس في هذه المنطقة.

ونجد بالفعل أن بعض المتدينين يصاب بالوسواس في المجال الديني، ولعله من أخطر مجالات الإصابة بهذا المرض.

فالقلق الذي يعاني منه الوسواسي في أمور الدين أشد مما يكابده في المجالات الأخرى، لعمق المشاعر الدينية، وارتباط قضايا الالتزام الديني بالمستقبل الأخروي، وما يترتب على الإخلال بها من حساب وعقاب عند الله تعالى مما يجعله أكثر قلقاً واضطراباً. وقد يؤدي الوسواس الديني إلى رد فعل عند صاحبه تجاه الدين، كما تنقل قصص عن أشخاص تركوا الصلاة والتدين، بعد فترة من معاناة الوسوسة فيها.

من ناحية أخرى فإن الوسوسة في الأمور الدينية، تنفّر المحيطين بالوسواسي والمطلعين على أوضاعه من

الدين، بسبب النموذج المشوّه الذي يقدمه لهم، ولخوفهم من تكرار تجربته في حياتهم.

لذا نجد النصوص والتعاليم الدينية تولي اهتماماً لمكافحة هذا المرض الخبيث، وتحذّر من الإصابة به، وتضخ المفاهيم والنصائح الوقائية منه.

الوسواس الفكري:

أهم ما يحرص عليه المتدين سلامة عقيدته وحسن إيمانه، لأن ذلك هو أصل الدين وأساسه. ويحصل في بعض الحالات أن تمر على ذهنه بعض التساؤلات والتشكيكات في قضايا العقيدة والإيمان، وهي إذا كانت على شكل استفهام يبحث عن إجابة، فهذا ليس سيئاً لأن ذلك سيدفعه للتفكير والبحث، مما يوصله للمعرفة وثبات العقيدة. لكن المشكلة هي اقتحام هذه التشكيكات للنفس، دون تجاوب عقلي معها، لأنها لا تنطلق من حاجة معرفية، ولا نقص معلوماتي، لإيمان الإنسان عقلياً وفطرياً بمعتقداته.

وهنا تكون معاناة هذا الإنسان، فهو يؤمن بعقيدة ثابتة، ويحرص على التمسك بها، لكن خواطر مناقضة تهجم على نفسه وذهنه، فيرعبه ويقلقه حدوثها عنده، ويخشى من آثار ونتائج تلك الخواطر التشكيكية على إيمانه وارتباطه بدينه وربه.

ويعالج الإسلام هذه الحالة المرضية بتطمين المصاب

بها، أنها لا تؤثر على دينه، وأن عليه أن لا يهتم ولا يبالي بها، وبذلك تتلاشى تدريجياً حتى ينعدم وجودها.

روت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه » (1).

وعن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيء لو خرَّ من السماء فتخطفه الطير كان أحب إليه من أن يتكلم به؟ قال ﷺ: « ذاك محض الإيمان، أو صريح الإيمان » (2).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: « إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنني نافقت، فقال ﷺ: والله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني، تعلمني ما الذي رابك؟ أظن العدو الخاطر أتاك فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني. فقال لك: من خلق الله؟ قال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال ﷺ: إن الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله

---

(1) الهندي: علي المتقي/ كنز العمال حديث رقم١٢٣٠، ج١، ص١٢٣٠، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ مؤسسة الرسالة.
(2) المصدر السابق حديث رقم ١٧٠٩، ج١، ص٣٩٨.

وحده » [1].

وعن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت، فقال: « لا شيء فيها، تقول: لا إله إلا الله » [2].

وعن جميل بن درَّاج قال: قلت للإمام الصادق عليه السلام: إنه يقع في قلبي أمر عظيم ،فقال: « قل: لا إله إلا الله. قال جميل: فكلما وقع في قلبي شيء قلت: لا إله إلا الله فيذهب عني » [3].

الوسواس في الطهارة:

بيد أن أكثر المصابين بالوسواس الديني يعانون منه في مجال الالتزام بأحكام الطهارة ومسائل العبادات.

فمثلاً أوجب الإسلام طهارة البدن والثياب من النجاسات كشرط لصحة الصلاة، فالمطلوب هو اجتناب ما علم نجاسته، أما الظن والشك والاحتمال فلا يؤخذ به، لأن الأصل هو الطهارة فيحكم بطهارة كل شيء ما لم تثبت نجاسته وتلك قاعدة فقهية وردت بها نصوص

---

(1) الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي ج٢ ص٤٢٥، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء ـ بيروت.
(2) المصدر السابق ص٤٢٤.
(3) المصدر السابق ص٤٢٤.

عديدة، كموثقة عمار عن الإمام الصادقعليه السلام قال: «كل شيء نظيف حتى تعلم أنه قذر، فإذا علمت فقد قذر، وما لم تعلم فليس عليك»[1].

وورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ما أبالي أبول أصابني أو ماء، إذا لم أعلم»[2].

هذا هو الحكم الشرعي، لكن المبتلى بمرض الوسواس في هذا المجال يضع لنفسه قاعدة معاكسة، ويعمل بشكل مناقض لحكم الشرع، فالأصل عنده نجاسة الأشياء، وطهارتها تحتاج إلى إثبات، إنه يشك في نجاسة كل شيء وعلى أساس الافتراضات البعيدة، والاحتمالات غير المنطقية، كما ينقل السيد الخوئي رحمه الله عن بعض المتقدسين أنه كان يعتقد نجاسة جميع المساجد الكائنة في النجف، من جهة انفعال الماء القليل بملاقاة الآلات والأدوات المستعملة في البناء!![3].

---

(1) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة حديث رقم ٤١٩٥، ج٣، ص٤٦٧، الطبعة الأولى١٤١٣هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

(2) المصدر السابق حديث رقم ٤١٩٦، ج٣، ص٤٦٧.

(3) الخوئي: السيد أبو القاسم/ التنقيح في شرح العروة الوثقى ج٢ ص١٧٤، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ/ مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ـ إيران.

ونقل أحد العلماء أنه رأى شخصاً في النجف كان يؤدي كل صلواته ـ طيلة عمره ـ مع التيمم اعتقاداً منه أن المياه كلها نجسة! [1].

ونقل أيضاً: أن الشيخ الأنصاري رأى في الحمام ـ للسباحة ـ وسواسياً يدخل الحمام ثم يخرج منه، ويكرر ذلك مراراً، سأله الشيخ عن سبب ذلك، فأجاب: إن هواء الحمام متصل بالمراحيض، لذا فهو نجس، فإذا لاقى الهواء بدني وما عليه من الرطوبة تنجس! [2].

وأوجب الإسلام الطهارة من الحدث لأداء الصلاة بالوضوء أو الغسل أو التيمم وأحكامها واضحة اليسر والسهولة، لكن مرض الوسواس يحوّلها إلى عملية معقدة، حيث يقضي بعض المصابين بهذا المرض وقتاً طويلاً، لإنجاز وظيفة الوضوء أو الغسل، ويهدرون كمية كبيرة من الماء، والأسوأ من ذلك ما يرهقون به أنفسهم من مشقة وعناء..

وقد ورد في أحاديث عديدة أن رسول الله كان يغتسل بصاع من الماء وأنه قال: « الوضوء مدّ والغسل

---

(1) الحجازي: السيد مهدي/ الوسواس وعلاجه ص١٠١ الطبعة الثانية ١٩٨٨م/ الدار الإسلامية ـ بيروت.
(2) المصدر السابق ص١٠٣.

صاع، وسيأتي أقوام بعدي يستقلّون ذلك فأولئك على خلاف سنتي، والثابت على سنتي معي في حظيرة القدس»[1]. والصاع ٣ لتر تقريباً.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنما الوضوء حد من حدود الله، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه، وإن المؤمن لا ينجّسه شيء، إنما يكفيه مثل الدهن»[2].

وعنه أيضاً عليه السلام: «إذا مسّ جلدك الماء فحسبك»[3].

وروى أن علياً عليه السلام كان يقول: الغسل من الجنابة والوضوء يجزي منه ما أجزأ من الدهن الذي يبلّ الجسد[4].

هكذا يأمر الإسلام، وهكذا كان يفعل المعصومون، ومن تبعهم من العلماء والفقهاء، حيث لا يصرفون في الوضوء أكثر من دقيقة أو دقيقتين، وبمقدار يسير من الماء، فلماذا يتصرّف الوسواسيون في وضوئهم وغسلهم بهذه الطريقة الجنونية؟ حتى حكي عن بعض المبتلين

---

(1) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة حديث رقم ١٢٨٠، ج١، ص٤٨٣، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

(2) المصدر السابق ـ حديث رقم ١٢٨٢، ج١، ص٤٨٤.

(3) المصدر السابق ـ حديث رقم ١٢٨٤، ج١، ص٤٨٥.

(4) المصدر السابق ـ حديث رقم ١٢٨٦، ج١، ص٤٨٥.

بالوسواس كما ينقل السيد الخوئي :أنه أتى نهـراً عظيمـاً للاغتسـال، قبـل أن تطلـع الشـمس بسـاعة، وفـرغ مـن اغتساله والشمس قد غربت!! [1].

الوسوسة في الصلاة:

الصـلاة فرصـة لقـاء روحـي، وسمـو معنـوي، يحلّـق خلالها المؤمن في آفاق التقرب إلى الله تعالى، ولذلك يقبـل عليها بشوق واندفاع، لأنه في الصلاة يكون بـين يـدي الله تعـالى، وكـان رسـول الله ﷺ يعتبرهـا منبعـاً للاطمئنـان والاستقرار والراحة النفسية، حيـث ورد في الحـديث أنـه كان يقول لبلال: «يا بـلال: أقـم الصـلاة ارحنـا بهـا »وفي حديث آخر» قم يا بـلال فأرحنـا بالصـلاة» [2]. ويصفـهـا فـي أحاديـث أخـرى بقولـــه: «جعل الله جلّ ثنـاؤه قـرة عيني في الصلاة» إنما يستفيد المؤمن من ثمار صلاته المعنوية الروحية، بإقباله وخشوعه، لكـن المصـابين بالوسوسـة في الصلاة تفقد الصلاة معناها عندهم، ولذتها في نفوسهم، وتتحول إلى موعد للعذاب، وحالة من العناء والاضطراب

---

(1) الخوئي :السيد أبو القاسم/ التنقيح في شرح العـروة الـوثقى ج٢ ص١٧٣، الطبعـة الرابعـة ١٤١٧هــ/ مؤسسـة انصـاريان للطباعة والنشر ـ إيران.

(2) السجستاني: أبو داود/ سنن أبي داود ـ حديث رقم 4985 ورقــم ٤٩٨٦، ج٢، ص٧١٥، الطبعــة الأولى ١٤٠٩هـــ/ دار الجنان ـ بيروت.

النفسي، والتوتر العصبي.

وأي غاية للشيطان أفضل من هذه الغاية؟ وأي انتقام يناله من المؤمن المصلي أشد من هذا الانتقام؟

إن بعضهم يتردد كثيراً ويشك كثيراً في تحقق نيته للصلاة، فيمكث فترة طويلة قبل تكبيرة الإحرام، وقد يعيد تكبيرة الإحرام أكثر من مرة، لعدم تأكده من تحقق النيّة، وهذا عرَض من أعراض مرض الوسواس، والنيّة المطلوبة للصلاة هي مجرد الانبعاث والاندفاع لأداء الصلاة باعتبارها واجباً شرعياً، ولا تختلف عن أي انبعاث للإنسان باتجاه أي حركة أو عمل، فهو إذا خرج للسوق قاصداً شراء حاجيات المنزل، فذلك القصد هو النية، وكذلك إذا قام واستقبل القبلة يريد الصلاة، فإن قيامه واستقباله يكشف عن الباعث في نفسه، وهو المقدار الكافي من النية.

يقول السيد اليزدي في العروة الوثقى: « ويكفي فيها الداعي القلبي، ولا يعتبر فيها الاخطار بالبال، ولا التلفّظ، فحال الصلاة وسائر العبادات حال سائر الأعمال والأفعال الاختيارية، كالأكل والشرب والقيام والقعود ونحوها من حيث النية، نعم تزيد عليها باعتبار القربة فيها بأن يكون الداعي والمحرّك هو الامتثال

والقربة»[1].

ويندد الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر بتكلف الوسواسيين في النية قائلاً: «فبسببه تحصل بعض أحوال لهم تشبه أحوال المجانين، وليت شعري أليست النيّة في الوضوء والصلاة وغيرهما من العبادات كغيرها من سائر أفعال المكلفين من قيامهم وقعودهم وأكلهم وشربهم؟ فإن كل عاقل غير غافل ولا ذاهل، لا يصدر عنه فعل من هذه الأفعال، إلا مع قصد ونية سابقة عليه، ناشئة من تصور ما يترتب عليه من الأغراض الباعثة، والأسباب الحاملة على ذلك الفعل، بل هو أمر طبيعي وخلق جبلي، ومع هذا لا ترى المكلف في حال إرادة فعل من هذه الأفعال، يعتريه شيء من الوسوسة وذلك الإشكال، بل هو بالنسبة إلى العبادات الأخر، من الزيارات، والصدقات، وعيادة المرضى، وقضاء الحوائج، والأدعية والأذكار، وقراءة القرآن، ونحو ذلك، لا يعتريه شيء من تلك الأحوال، بل هو فيها على حسب سائر أفعال العقلاء، فما أعرف ماذا يعتريه في مثل

(1) اليزدي: السيد محمد كاظم/ العروة الوثقى- فصل في النية، ج١، ص٤٣٦، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.

الوضوء؟»[1].

نقل أحد العلماء: أن رجلاً يدعى محمد صالح، وكان يذهب بابنه إلى الحمام، ويضعه عند خزّان الماء هناك، وحين يعزم على الاغتسال، يومئ إلى الطفل، وهو ينوي الغسل ويقول: اللهم إني محمد صالح، هاأنذا أغتسل بنفسي غسل الجنابة، تلك الجنابة التي حصلت لي من أم هذا الولد الحاضر هنا، قربة إلى الله تعالى، ثم يغطس في الماء، وما إن ينتهي حتى يحتمل أنه لم ينطق ببعض مخارج الحروف كما يجب، فيعود، ويجدد النية كما فعل أولاً، ويرتمس، وهكذا!![2]

أليست هذه حالة مرضية؟ بل جنونية؟ هذا ما يفعله الوسواس بالخاضعين له.

وحاشا الله تعالى أن يأمرهم بذلك، وهؤلاء فقهاء الإسلام يستنكرون مثل هذه الممارسات، فقد كان على عهد المرحوم الميرزا القمي ﵀ شخص وسواسي، قام ليصلي صلاة المغرب، فلم يتمكن من النيّة، حاول كثيراً إلى أن مضت من الليل ثلاث ساعات، دون أن يستطيع ذلك، فلما تعب قصد الميرزا في داره وقال له: أنا من

(1) النجفي: الشيخ محمد حسن/ جواهر الكلام ج١ ص٣٠٢/ الطبعة الأولى ١٩٩٢م دار المؤرخ العربي- بيروت.
(2) الحجازي: السيد مهدي /الوسواس وعلاجه ص١٠٤.

مقلديكم، وقد عزمت على الصلاة لكني لم أتمكن من تحصيل النية، فما العمل؟ قال له الميرزا: اذهب وصل بدون نية، وصلاتك صحيحة. رجع المسكين إلى داره وحاول أن يصلي بدون نية فلم يستطع. فعاد إلى الميرزا ثانية، وشكا إليه حاله، وأن في نفسه حينما أراد الصلاة شيئاً من النية لكن ليس بالقدر الكافي، فلا يستطيع تحقيق النية كاملة، ولا يتمكن من إلغائها كاملة، فماذا يصنع؟ فأجابه الميرزا: هذا المقدار من النية لا بأس به، اذهب وصل ولا إشكال [1].

كثرة الشك والسهو:

قد تحصل للمصلي حالات من الشك والسهو في أفعال الصلاة أو أذكارها، وذلك أمر طبيعي ضمن الحدود المتعارفة، ولهذه الحالات أحكام يذكرها الفقهاء، لكن كثرة الشك، والسهو، تعتبر عرضاً من أعراض مرض الوسواس، لذلك يستثنيها الفقهاء من انطباق أحكام الشكوك، ويتعاملون معها كحالة مرضية ينبغي معالجتها بعدم الاستجابة لها، لذلك أفتى الفقهاء بأن «الوسواسي إذا شك في الإتيان بالصلاة وعدمه فإنه يبني على أنه قد أتى بالصلاة وإن كان شكه أثناء وقت

---

(1) المصدر السابق ص١٠٣.

الصلاة »[1].

وأفتوا بأن لا قيمة لـ« شك كثير الشك وإن لم يصل إلى حد الوسواس، سواء كان في الركعات والأفعال، أو الشرائط، فيبني على وقوع ما شك فيه، وإن كان في محله، وإذا شك في حصول ما يفسد الصلاة يبني على عدم وقوعه، فلو شك بين الثلاث والأربع يبني على الأربع، ولو شك بين الأربع والخمس يبني على الأربع أيضاً، وإن شك أنه ركع أم لا؟ يبني على أنه ركع، وإن شك أنه ركع ركوعين أم واحداً بنى على عدم الزيادة، ولو شك أنه صلى ركعة أو ركعتين بنى على الركعتين، ولو شك في الصبح أنه صلى ركعتين أو ثلاثاً بنى على أنه صلى ركعتين، وهكذا »[2] وحينما يشك في صحة كلمة أو لفظة في القراءة أو الأذكار يبني على الصحة.

واعتبر كثير من الفقهاء أن من يعتريه الشك في صلاة واحدة ثلاث مرات، أو في كل ثلاث صلوات مرة واحدة، دون مبرر استثنائي كما لو كان في حالة خوف أو غضب أو همّ، فإنه حينئذٍ ينطبق عليه أنه كثير الشك ولا

---

(1) اليزدي: السيد محمد كاظم/ العروة الوثقى ـ فصل في الشك/ مسألة ٨، ج٢، ص١٢، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
(2) المصدر السابق/ فصل في الشكوك التي لا اعتبار بها، ج٢، ص٣٥.

يبالي بشكه بل يبني على الصحة. وبعض الفقهاء أرجع تحديد الحالة إلى العرف، فمن اعتبره العرف كثير الشك كان له حكمه [1].

بل قال الفقهاء أنه: « لا يجوز لكثير الشك الاعتناء بشكه، فلو شك في أنه ركع أو لا؟ لا يجوز له أن يركع، وإلا بطلت الصلاة » [2].

برنامج منع الاستجابة:

من أبرز أساليب العلاج المعتمدة حالياً في المراكز الرائدة في العلاج النفسي السلوكي في الولايات المتحدة، لمرض الاضطراب الوسواسي الجبري، هو برنامج منع الاستجابة، والذي يعني منع المريض من ممارسة تصرفاته الوسواسية، لفترة معينة تحت رقابة وإشراف، داخل مستشفى العلاج، أو في بيته بواسطة المرافقين له. مع توفير أجواء مساعدة.

وقد لوحظ نجاح هذا البرنامج مع كثير من المرضى الراغبين في العلاج، لكنه قد يتطلب وقتاً طويلاً يتفاوت من مريض إلى آخر، ويستلزم صبراً وأناةً من الجهة المشرفة على العلاج [3].

---

(1) المصدر السابق/ مسألة رقم1، ج٢، ص٣٦.
(2) المصدر السابق/ مسألة رقم٤، ج٢، ص٣٧.
(3) حجار: الدكتور محمد/ العلاج النفسي الحديث للإضطراب

وإذا ما تأملنا التعاليم الإسلامية حول أحكام المصابين بالوسواس، وكثرة الشك في قضايا الطهارة والعبادات، فإنها تلزم المصاب باعتماد برنامج منع الاستجابة، وأن يباشر ذاتياً مع نفسه هذا البرنامج، فلا يعتني بحالة الشك والوسوسة، ولا يستجيب لها، وذلك هو تكليفه الشرعي، وهو الطريق الوحيد لتخلصه من هذا المرض.

عن زرارة وأبي بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: « لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه، فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عوّد، فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرّن نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك .قال زرارة: ثم قال عليه السلام:إنما يريد الخبيث أن يطاع، فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم »[1].

ويتبين من الحديث أن الوسواس حينما يبدأ عند الإنسان فعليه أن ينتبه لنفسه، ويتغلب عليه مبكراً، بمنع الاستجابة، والاستمرار في صلاته، وإن كان غير متأكد وواثق من صحتها: « فليمض أحدكم في الوهم » وإن

الوسواسي الجبري ص١٢٢ـ ١٣١.

(1) الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي ج٣ ص٣٥٨، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء ـ بيروت.

الاستمرار في برنامج منع الاستجابة كفيل بتجاوز هذه الحالة المرضية: « فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك»

وضمن هذا السياق وردت أحاديث عديدة كرواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: « إذا كثر عليك السهو فامض في صلاتك فإنه يوشك أن يدعك إنما هو من الشيطان» [١].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: « إذا كثر عليك السهو فامض في صلاتك» [٢].

وعنه عليه السلام: « إذا كان الرجل ممن يسهو في كل ثلاث فهو ممن كثر عليه السهو» [٣].

العلاج المعرفي:

منذ وقت قريب ظهرت فكرة العلاج المعرفي للاضطراب الوسواسي سنة ١٩٧٦م، وقام كل من « كابلان» و« روبرتسون» سنة ١٩٨٣م بتطبيق هذا الأسلوب من العلاج على عدة حالات وكان نتاج العلاج

(1) المصدر السابق ص٣٥٩.
(2) الحر العاملي: محمد بن الحسن/ وسائل الشيعة حديث رقم ١٠٤٩٧، الطبعة الأولى١٤١٣هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.
(3) المصدر السابق/ حديث رقم ١٠٥٠١، ج٨، ص٢٢٩.

ناجحاً.

ويستهدف هذا البرنامج إعادة تركيب البنية المعرفية للمريض في مجال إصابته، على أساس تصور ينظر إلى أن موضوع الوسواس كالصلاة أو الوضوء مثلاً هو بمثابة منبه معرفي، يستدعي ويثير الاستجابات الانفعالية، والتي هي الخوف من الخلل والخطأ في الأداء، تترتب عليها استجابة معرفية هي الاعتقاد بالمسئولية الذاتية تجاه الخلل، والشعور بالإثم والذنب.

فالعملية طبق هذا التصور تمر بثلاث مراحل:

المنبه المعرفي: الصلاة أو الوضوء.

الاستجابة الانفعالية: الخوف من الخلل والخطأ.

الاستجابة المعرفية: الاعتقاد بالمسؤولية والشعور بالإثم.

والعلاج المعرفي يعني إعادة بناء تفكير المريض وتصحيحه، لتبديل ما يسمى بالأفكار الآلية المعززة، التي أخذت صفة الاستمرارية بعيدة عن السيطرة والاستبصار الذاتي، ورغم أن أكثر الوسواسيين يعترفون بلا منطقية أعمالهم وممارساتهم، لكن تضخّم بعض التصورات في نفوسهم، والمبالغة والتطرف في بعض الأفكار، هو ما يشكل أرضية لحالتهم المرضية.

فلا بد من هزّ تلك التصورات الخاطئة، ونسف حالة الغلو والمبالغة في الأفكار المعززة لهذا الاضطراب.

ويمكن التركيز على النقاط التالية:

إن الله تعالى هو الذي يقرر موارد الإثم، والأمور التي تستوجب الحساب والعقاب، ولا يصح للإنسان أن يتبرع من نفسه فيقرر أن هذا ذنباً، وأن هذا العمل يستوجب إثماً، فذلك افتراء على الله. وما دام الشرع يعلن بوضوح: أن لا مسؤولية عليك في موارد شكك وسهوك، واحتمالك للخلل والخطأ، ويقول لك: إن عملك صحيح، فكيف يجوز لك أن تتوقف عن قبول حكم الله وترفضه؟

فإذا كنت تكرر عملك في الوضوء والصلاة فراراً من الإثم والذنب، فإنك بهذا التصرف توقع نفسك في أعظم إثم وأسوأ ذنب.

عرض وتبيين مفاهيم اليسر والسماحة في الدين، فقد أنزل الله شريعته رحمة للناس ولإسعاد حياتهم، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ (١) ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٢) كما تقرر مبادئ الشريعة أصالة الطهارة، وأصالة الإباحة، ورفع المسؤولية عن الجاهل والناسي، وأن كل عمل فرغت منه أو تجاوزته ثم شككت فيه فلا قيمة ولا أثر

---

(1) سورة البقرة الآية.185

(2) سورة الحج الآية ٧٨.

لذلك الشك.

الحديث عن عفو الله ورحمته وأنه تعالى خلق الناس ليرحمهم، وأن عفوه واسع، وكرمه عظيم، وبالتالي لا داعي لهذا التشدد والتكلف.

ذكر نماذج وصور من أداء الأنبياء والأئمة والأولياء والعلماء لعباداتهم وأعمالهم الدينية على أساس السهولة واليسر ومن دون أي تعقيد أو تهويل.

إن إحاطة المبتلى بالوسواس بهذا الجو المعرفي، وتكرار هذه الأفكار والطروحات عليه، إضافة إلى تشجيعه على برنامج منع الاستجابة، يساعد كثيراً على تفكيك تصوراته الخاطئة، وإعادة بناء أفكاره، وتصحيح ممارساته بشكل تدريجي، قد يستغرق وقتاً، لكنه يؤدي إلى نتيجة مفيدة.

ثقافة الوقاية:

كأي مرض من الأمراض فإن للوسواس بيئة تساعد على نموه وتكاثره، وفي المجال الديني فإن الطروحات المتشددة والمتزمتة للمسائل الدينية، قد تكون أرضية مناسبة لبذرة الوسوسة، وقبل أيام اطلعت على قضية امرأة كانت تعيش وضعاً عادياً في حياتها وأعمالها الدينية، فسافرت للحج، وكان المرشد الديني في الحملة التي

التحقت بها، يدقق كثيراً على طريقة أداء الوضوء وأعمال الصلاة، ومن خلال بحثه وتوجيهه واسئلتها له، أكدّ لها أن وضوئها وصلواتها في السنين السابقة مليئة بالأخطاء وأنها باطلة، وأن عليها أن تعيد وتقضي كل عباداتها للفترة الماضية، وهنا تسللت جرثومة المرض إلى نفسها، وما انتهت من رحلة الحج وعادت إلى بلادها، إلا وهي مصابة بحالة من الوسواس، أخذت تنمو عندها وتزداد حتى تحولت حياتها الشخصية والعائلية إلى جحيم، إنها تصرف ساعات لأداء كل فريضة من الفرائض.

وبالطبع هناك تهيؤ في بعض النفوس أكثر من بعض لاستقبال عدوى المرض، لتفاوت درجة المناعة والحصانة. لكن التوجيه الديني يجب أن يأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الدين يسر »[(١)] وعنه ﷺ: « خير دينكم أيسره »[(٢)] وعنه ﷺ: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبّت الذي لا سفراً

---

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري حديث رقم٣٩، ج١، ص١٦، ١٤٢٠هـ/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(2) العسقلاني: ابن حجر/ فتح الباري ج١ ص١٢٧، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ دار السلام ـ الرياض.

قطع، ولا ظهراً أبقى»[1].

وفي بعض الأحيان يكون الحرص على الاحتياط في أمور العبادات مدخلاً إلى مرض الوسواس، والاحتياط وإن كان محبباً لما ورد في الحديث عن علي عليه السلام: «أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت»[2] لكن المبالغة فيه، واحتمال الضرر بالوسواس منه، يجعله في معرض الكراهة أو الحرمة الشرعية، كما ذكر الفقهاء في موضوع الطهارة والنجاسة، يقول السيد اليزدي: «الدهن واللبن والجبن المأخوذ من أهل البوادي محكوم بالطهارة، وإن حصل الظن بنجاستها، بل قد يقال بعدم رجحان الاحتياط بالاجتناب عنها، بل قد يكره، أو يحرم إذا كان في معرض الوسواس»[3].

---

(1) الهندي: علي المتقي/ كنز العمال حديث رقم ٥٣٧٧، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/ مؤسسة الرسالة- بيروت- المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٦٨ ص٢١٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(2) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار ج٢ ص٢٥٨، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(3) اليزدي: السيد محمد كاظم/ العروة الوثقى- فصل طريق ثبوت النجاسة، ج١، ص٥٧، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ مؤسسة الأعلمي- بيروت.

الحلّ بيد المريض:

قهر مرض الوسواس له طريقة واحدة، هو قرار المريض نفسه وإرادته، بالطبع يحتاج إلى شجاعة كبيرة، وجرأة عظيمة، لكي يقرر عدم الاستجابة للانفعالات الوسواسية داخل نفسه، ورغم صعوبة ذلك لكنه أمر ممكن، وهناك الكثيرون ممن تعافوا من هذا المرض وتجاوزوه، بعد فترة من معاناة التزام العلاج، وما يسببه لهم من توتر نفسي وضغط عصبي، لكنهم بعد ذلك شعروا بحياة جديدة، وسعادة غامرة.

وعلى المحيطين بالمريض والقريبين منه أن يساعدوه في مقاومة هذا المرض الخبيث، ليس بالسخرية منه والتنكيت عليه، وإنما بتشجيعه على برنامج منع الاستجابة، وتذكيره بالمفاهيم المعرفية المساعدة، وأخذ دور المراقبة والإشراف على انضباطه في العلاج.إنه مريض يثير الشفقة وفي مساعدته وإنقاذه أجر وثواب كبير.

المصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ ابن حنبل: أحمد/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، عالم الكتب للطباعة والنشر ـ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣ـ البخاري: محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ ١٤٢٠هـ.

٤ـ الحجازي: السيد مهدي/ الوسواس وعلاجه، الدار

الإسلامية ـ بيروت/ الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٥ـ الحر العاملي: محمد بن الحسن/ تفصيل وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٦ـ الخوئي: السيد أبو القاسم/ التنقيح في شرح العروة الوثقى ج٢، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ـ إيران/ الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٧ـ السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث/ سنن أبي داود، دار الجنان ـ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨ـ الشيرازي: السيد محمد/ الفقه ج٤، دار العلوم ـ بيروت/ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٩ـ الطيّب: الدكتور محمد عبدالظاهر/ الوسواس القهري تشخيصه وعلاجه، دار المعرفة الجامعية/ الطبعة الثالثة ١٩٩١م.

١٠ـ العسقلاني: ابن حجر/ فتح الباري، دار السلام ـ الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١ـ القائمي: الدكتور علي/ الوسواس و الهواجس النفسية، دار المعرفة الجامعية/ الطبعة الثالثة ١٩٩١م.

١٢ـ الكليني: محمد بن يعقوب/ الأصول من الكافي، دار الأضواء ـ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٣ـ المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء- بيروت/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٤ـ النجفي: الشيخ محمد حسن/ جواهر الكلام، دار المؤرخ العربي-بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٥ـ الهندي: علي المتقي/ كنز العمال،مؤسسة الرسالة/ الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

١٦ـ اليزدي: السيد محمد كاظم/ العروة الوثقى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٧ـ حجار: الدكتور محمد/ العلاج النفسي الحديث للإضطراب الوسواسي الجبري، دار طلاس-دمشق/ الطبعة الأولى ١٩٩٢م.